

ويكتن عن الحصبة في العامية المصرية بـ(المبروكه).  
ويعرض الناس - عادة - عن ذكر الأمراض الخبيثة ، كالسل والسرطان ويدخلون في كلامهم عبارات لازالة مفهومها القاسي مثل : ربنا يكفينا شره - والعياذ بالله - الخ ويستعذون بالله من الأرواح الشريرة<sup>(٤٤)</sup>.  
وجهة اليسار جهة يتسام منها ، وكأنها جهة القوى الخفية ، التي لا يراد اباظتها (لذلك كثيراً ما قضي بالتحرم على اسم اليسار ، وكانت نتيجة هذا التحرم الاضطرار إلى استعمال العبارات الملفوفة ، والاستعارات للتعبير عن اليسار)<sup>(٤٥)</sup>.

وهناك الأمور الغبية ، والعالم غير المنظور الذي يقتضي عبارات خاصة (فالرقي السحرية التي نظر إليها في قبور اليونان ، وابطاليا ، وافريقيا مكتوبة على الواح من الرصاص ، تطبق في غالب الأحيان ، هذه الخطط نفسها : استعمال الكلمات الأجنبية ، أو تشويه الكلمات الأهلية ، ولكن الباعث هنا مختلف ، إذ يبغون من وراء ذلك الاتصال بالعالم الآخر ، ومن ثم يدخلون في تحرير النص اعتبارات لا صلة لها باللغة<sup>(٤٦)</sup>.

تشتق من أصل واحد ، يدل على عاهة جسمانية ثلاثة كلمات مختلفة (تدل على الصمم ، والبكم ، والجهاة) وذلك بتعديل عناصره الصوتية<sup>(٤٧)</sup>.

(وترى الشتائم في كثير من اللغات ، تصاب بشيء من الشوه ، المقصود ، الذي يمكن من ادخالها في أرقى الأوساط)<sup>(٤٨)</sup>.

ونحن نقول في عامتنا : (يا نهار أحوس - يا خراشي - يخيشك) بدلاً من (يا نهار أسود - يا خراي - يخيك) كل ذلك للتخفيف من حدتها.

أما موضوعات الششؤم كالموت ، والخوف من الجن ، والأمراض الخبيثة فتلحظ المجاز ، والكتابة عنها ، واستعمال عبارات تشير إلى الخوف أو تقلب معناها إلى ما يتمنى من الخير.

المموت - في أكثر اللغات - يكنى عنه بالذهب ، وفي العربية تستعمل لفظة (الوفاة) وهي مشتقة من (الوفاء) أي رد ما يستحق الآخرون عند الإنسان ويعبر عنه عبارات كثيرة مثل : أفلت شمه ، صعد إلى بارئه<sup>(٤٩)</sup> ، لَّئِي داعي ربه.

(51) نفسه ص 282.

(52) نفسه

(53) جبرين : اللغة بين الفرد والمجتمع ص 184 ، 185 ، وانظر : فندرис : اللغة ص 28 ، د. السرعان : اللغة والمجتمع ص 130.

(54) د. السرعان : اللغة والمجتمع ص 131.

(55) فندرис : اللغة ص 281.

(56) نفسه ص 321 ، وانظر أيضاً ص 322 - 325.

## المنافسة بين اللهجات واللغات

تفوق لهجة على أخرى ، وهي تعود – في بعضها – إلى الثقافة والحضارة ، والفوذ والسلطان ، وعدد الناطقين ونحو ذلك .

إذا انفرد أحدهما بمزية ، بأن كانت أكثر ثقافة أو حضارة أو ذات فوذ سياسي أو تجاري أو ديني واسع أو أكثر عدد الناطقين بها فإن ذلك يدعو إلى تغلبها على اختها أو أخواتها من اللهجات الأخرى .

وقد حدث هذا كثيراً في التاريخ . اللغوي .

فاللاتينية التي صارت لغة إيطاليا المشتركة ، وأخيراً لغة العالم الغربي بأسره ، كانت لغة روما أولاً وقبل كل شيء أي لغة المدينة في مقابلة لغة الريف المجاور ، واللهجات القاصية على السواء<sup>(١)</sup> .

واللهجة الباريسية ، أصبحت لغة فرنسا ، بتعليمها على اللهجات الأخرى ( فالفرنسية إنما خرجت من العاصمة ، ومن طبقة اجتماعية عينها من طبقات العاصمة ، وهي البرجوازية .. وقد استقرت في القرن التاسع عشر ، وسلم بها القصر ، ثم الأقاليم ، والكتاب الكبير باستعمالهم إياها زودوها بالقدرة على فرض نفسها نهائياً ، وعلى استمرارها لذلك لا تكاد تحس فيها أثراً للهجات )<sup>(٢)</sup> .

ولهجة فلورنسا كانت مزاياها الذاتية ترشحها أكثر من غيرها للقيام بدور اللغة المشتركة إذ كانت أقرب من غيرها إلى اللاتينية<sup>(٣)</sup> .

ولهجة فلورنسا (في إيطاليا) – لهجة المجتمع الراقي بهذه المدينة – هي التي صارت لغة إيطاليا<sup>(٤)</sup> .

### ١ - المنافسة بين اللهجات :

يحتاج الناس إلى اتصال بعضهم بعض ، أفراداً ، وجماعات ، وأئمـاً . وهذا الاتصال آثاره اللغوية ، فلهجات ولغات تلك الجماعات والأمم تتلاقي ، ويستفيد بعضها من بعض .

والتأثير الذي يعتري لهجات اللغة الواحدة ، قد يبدو عادياً حين لا يكون الاختلاط بين الطبقات كبيرة ، كلّ لهجات القرى والمدن ، في أيام دولـة ، فلكل منها سمات تمتاز بها عن الأخرى ، وبينها اشتراك في مظاهر كثيرة ، تستمدـها من اللغة العامة ، ولذا لا تستعصي أحدهما على الفهم خارج حدودها ، اللهم إلا في حالات العزلة التي تعيش فيها بعض القرى والأماكن النائية أو الأقاليم التي تفصلـها عن بعضها عن بعض ظروف جغرافية واجتماعية ، فإنـها تؤدي إلى ظهور سمات تنفرد بها لهجاتها ، وقد تستعصي على فهم غيرها من البلاد النائية عنها قرية كانت أو مدينة .

وحين تتجاوز اللهجات الخاصة في المدن الكبـرى ، والقرى المجاورة لها ، تزيد درجات التأثير ، فـفي داخل المدن يـكثر الاختلاط بين الطبقات ، ومحاـولـة الأدنـى تقـليـدـ الأرقـى ، وـمع ذلك تـبقى لـكلـ لهـجةـ خـصـائـصـهاـ المـيـزةـ .

وسـكانـ القرـىـ المجـاورةـ للمـدنـ يـحاـولـونـ التـخلـيـ عنـ خـصـائـصـ لهـجـاتـهمـ وـتقـليـدـ لهـجـاتـ المـدـنـ ، لأنـ حـضـارـةـ أـهـلـ المـدـنـ ، وـثقـافـةـهـمـ تـجـعـلـ الرـغـبةـ فيـ تقـليـدـهـمـ مـلـحةـ لـدـيـ الـرـيفـيـنـ .

وقد أجريت بحوث في هذا الحقل أوضحت عوامل

(١) قندريس : اللغة ص 329.

(٢) نفسه ص 330.

(٣) نفسه ص 335.

(٤) نفسه ص 325.

قرونا ولايات مستقلة سياسياً وبدون عاصمة مثل على عرقلة الحالة السياسية لظهور لغة عامة<sup>(7)</sup>.

وكانت تبدو آثار اللهجات المحلية في عامية متعلمي الألمان ، حتى في أيامنا هذه أكثر من غيرها من البلاد الأوروبية<sup>(8)</sup>. ولذا قام انتشار اللغة الألمانية المشتركة فيها على أسباب مستقلة عن كل وحدة سياسية ، فالألمانية المشتركة أولاً وقبل كل شيء لغة كتابة تدين بمناجحها إلى أسباب دينية ، كما تدين بأصلها إلى الرغبة في الاستعمار ، وكانت هناك حركة مارتن لوثر ، وترجمته للكتاب المقدس ، وهناك لغة المستشاريات في المدن والأماربات الألمانية ، والالمانية كانت تختل الأرضي السلافية قديماً يخدم ، وتحتل محل اللغات السلافية ف تكونت الألمانية المشتركة ، في مدن الاستعمار في ألمانيا الشرقية ، تلك اللغة التي وصلت بفضل الاصلاح الديني إلى أهميتها الأدبية واستقرت بفضل اكتشاف المطبعة ، وصارت لغة الكتابة في ألمانيا المثقفة بأسرها<sup>(9)</sup>.

## 2 - العامل الاجتماعي والاقتصادي :

تقوم بين جماعات الشعب روابط النسب ، والمصاهرة ، ويلتقون للتجارة ، وتبادل المنافع في شئ الحالات ، وقد تتشبّه بينهم المزاعمات وهذا يؤدي إلى اختلاطهم ، وقوة الاتصال بينهم ، ولذلك أثره في التقارب بين اللهجات وظهور لغة عامة تتخلص من السمات التي تفرّد بها كل لهجة.

ومن الأمثلة التي توضح اثر هذا العامل ما حدث للهجات الجزيرة العربية من توحد – في لغة عامة – قبل الإسلام بحوالي قرن ونصف أو قرنين من الزمان لما كان بين أهلها العرب من ارتباط في النسب وعلاقات المصاهرة الوثيقة ، والجوار ، والتعامل التجاري وغيره من الصلات الاجتماعية.

ولمجة فريش تغلبت علىسائر لهجات الجزيرة العربية ، قبل الإسلام لتحقيق النفوذ السياسي ، والاقتصادي ، والديني لها.

ويكفي أن تنشأ على اثر ذلك لغة مشتركة تحمل خصائص اللهجة المتغلبة ، وما بيّن من خصائص اللهجات الأخرى المندرحة.

وهذا التوحد اللغوي يخضع لعوامل كثيرة أهمها :

### 1) العامل السياسي :

فخضوع عدة مناطق لنظام سياسي واحد ، يؤدي إلى تقارب لهجاتها ، ثم توحدها في لغة عامة ، فالسلطة والحكام يجردون أحاديثهم العامة في مختلف المناطق من المظاهر الصوتية ، والوصفية ، والمعجمية ، وغيرها مما يختص بلهجة قرية أو مدينة معينة ، أو طائفة حرفية ، حتى ولو كان الحاكم من أبنائها ، ليكون ما يوجه إلى الشعب مفهوماً لدى كل الطبقات الاجتماعية .

وتلاحظ أن عاصمة الدولة تكون محطة أنظار قاطني المناطق الأخرى ، فيحاولون تقليد لهجتها ، والتخلّي عن ما تفرد به لهجاتهم الأصلية .

ومن هنا تنشأ لغة عامة خالية إلى حد كبير من خصائص اللهجات المحلية .

ويكفي أن تمثل لذلك بامتداد نفوذ الفرنسية ، التي كانت لهجة باريس ، ثم انتشرت في جميع البلاد الداخلية في المجال السياسي الفرنسي ، واللاتينية صارت لغة إيطاليا المشتركة وأخيراً لغة العالم الغربي بأسره<sup>(5)</sup> . تبعاً للنظام السياسي ، وذلك في الإمبراطورية الرومانية القديمة<sup>(6)</sup> .

وعدم خضوع الدولة لنظام سياسي واحد يضع الصعوبات في طريق التوحد اللغوي (ألمانيا التي ظلت

(5) نفسه ص 329.

(6) د. السرعان : اللغة والمجتمع ص 174.

(7) فندرس : اللغة ص 333 ، 334.